

(٩١) سورة الليل

في رهاب السورة العكريمة

سورة مكية آياتها إحدى وعشرون نزلت بعد سورة الأعلى، تتحدث عن سعى الإنسان وكدحه في الحياة. ثم نهايته إما إلى النعيم أو إلى الجحيم بدأت السورة الكريمة بالقسم بالليل إذا يغشى الدنيا بظلامه وبالنهار إذا أثار الكون بإشراقه وضياؤه، وبخالق العظيم الذى أوجد النوعين الذكر والأنثى، ثم أوضحت سبل السعادة فى الحياة وسبل الشقاء ونهت إلى اغترار الناس بأموالهم التى جمعوها وهى لا تنفعهم يوم القيامة ثم حذرت أهل مكة من عذاب الله وانتقامه. ثم ختمت السورة بذكر نموذج للمؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى وجوه الخير والمقصود به هو "أبو بكر الصديق" رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۚ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۚ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۚ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۚ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۚ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۚ وَأَمَّا مَنْ كَفَلَ وَاسْتَفْتَى ۚ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۚ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۚ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۚ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۚ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۚ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْقَى ۚ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۚ الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۚ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۚ الَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۚ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۚ إِلَّا أَتْقَى ۚ وَرَبِّهِ الْأَعْلَى ۚ وَلَسَوْفَ يَرَى ۚ ﴾

معاني المفردات:

يغشى : يغطى الأشياء بظلمته	تجلى : ظهر بضوئه
لشتى : لمختلف	صدق بالحسنى : بالملة الحسنى وهى الإسلام
فسنيسره : فسوفقه ونهديه	لليسرى : للخصلة المؤدية إلى اليسر

للعسرى : للخصلة المؤدية إلى العسر
تردى : هلك أو سقط فى النار
ما يغنى عنه : ما يدفع عنه العذاب
نارا تلظى : تتلهب وتحترق
لا يصلها : لا يدخلها ولا يقاسى حرها
سيجنيها : سيعبد عنها
يتزكى : يتطهر من الذنوب
تجزى : تكافأ

التفسير:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ يقسم الله عز وجل بالليل إذا غطى الكون بظلمته ، وستر بشبحه الوجود ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ أى وأقسم سبحانه بالنهار إذا تجلى وانكشف وأنار العالم وأضاء الكون قال المفسرون : أقسم الله سبحانه بالليل لأنه سكن لكافة الخلق حيث يأوى الإنسان والحيوان إلى ماواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم أقسم سبحانه بالنهار لأنه فيه حركة الخلق وسعيهم لاكتساب أرزاقهم ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ أى واقسم سبحانه كذلك بذاته وهو القادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر والأنثى للتنبيه على أنه الخالق المبدع الحليم ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ هذا هو جواب القسم أى إن عملكم مختلف فمنكم تقى وصالح ومنكم شقى وطالح ، ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴾ أى فأما من أعطى ماله وأنفق ابتغاء وجه الله ، واتقى ربه فكف عن محارم الله ، قال ابن كثير: أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره ^(١) ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ أى وصدق بالجنة التى أعدها الله للأبرار ﴿ فَسَيُسْرُّهُ ﴾ لِّلْيُسْرَى أى فسنيئه لعمل الخير ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر ، وهى فعل الطاعات وترك المحرمات ﴿ وَأَمَّا مَنْ هَمِلَ وَاسْتَفْتَى ﴾ أى وأما من بخل بإنفاق المال فى وجوه الخير واستغنى عن عبادة ذلك الحلال ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ أى وكذب بالجنة ونعيمها ﴿ فَسَيُسْرُّهُ لِّلْعُسْرَى ﴾ أى فسنيئه للخصلة المؤدية للعسر وهى الحياة السيئة فى الدنيا والآخرة وهى طريق الشر قال المفسرون : سعى طريق الخير يُسْرَى لأن عاقبتها اليسر وهو دخول الجنة وسمى طريق الشر عُسْرَى لأن عاقبتها العسر وهو دخول الجحيم ﴿ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ على سبيل الإنكار أى وأى شىء نفعه

(١) مختصر بن كثير ٦٤٦٣.

ماله إذا هلك وهوى فى نار جهنم؟ فهل ينفعه المال. ويدفع عنه الوبال؟ ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أى إن علينا أن نبين للناس طريق الهدى من طريق الضلالة ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغى، ﴿وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أى لنا ما فى الدنيا والآخرة، فمن طلبها من غير الله فقد أخطأ الطريق ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أى فحذرتكم يا أهل مكة نارا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها ﴿لَا يَصْلِيْهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ أى لا يدخلها للخلود فيها ولا يذوق سعيها إلا الكافر الشقى ﴿الَّذِى كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ أى كذب الرسول وأعرض عن الإيمان ﴿وَسُجِنَ فِي الْأَثْقَى﴾ أى وسيبعد عنها التقى النقى المبالغ فى اجتناب الشرك والمعاصى ثم فسر ذلك سبحانه بقوله ﴿الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَمْزِجْهُ﴾ أى الذى ينفق ماله فى وجوه الخير ليزكى نفسه ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أى وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها وإنما ينفق لوجه الله تعالى قال المفسرون: نزلت الآيات فى حق "أبى بكر الصديق" فقد رضى الله عنه حين اشترى بلالا وأعتقه فى سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت ﴿إِلَّا آتِيفًا بَيْنَهُمْ أَتِيفًا﴾ أى ليس له غاية إلا مرضاة الله عز وجل ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أى ولسوف يعطيه الله فى الآخرة ما يرضيه وهو وعد كريم من رب رحيم.

الإعراب:

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى	الواو حرف قسم وجر، الليل مقسم به مجرور. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف لمجرد الظرفية المجردة عن الشرط وهو متعلق بفعل القسم وجملة يغشى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للطرف.
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَافَى	الجملة معطوفة على ما سبق وينفس الإعراب.
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى	الواو عاطفة، ما مصدرية أو موصولة والجملة عطف أيضا على ما تقدم.
إِنْ سَعَى لَشَى	جواب القسم، إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح سعيكم

اسم إن منصوب والضمير فى محل جر لشتى اللام هى المزلحقة وشتى خبر إن مرفوع بالضممة المقدرة.	
الفاء استتافيه، أما حرف شرط وتفصيل من اسم موصول مبتدأ فى محل رفع وجملة أعطى صلة الموصول لا محل لها من الإعراب واتقى عطف على أعطى.	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى
الفاء رابطة لجواب الشرط والسين حرف يدل على الزمن المستقبل، نيسره فعل مضارع وفاعله مستتر والهاء ضمير فى محل نصب مفعول به لليسرى جار ومجرور متعلقان بنيسره.	وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى
عطف على ما سبق.	فَسَنِيَرُهُ لِلْيَسْرَى ﴿١﴾ وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَأَسْتَفَى ﴿٢﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٣﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى
الواو عاطفة ما نفية يغنى مضارع مرفوع بالضممة المقدرة ويجوز أن تكون ما نافية فى معنى الإنكار فى محل نصب مفعول مطلق ليغنى والتقدير "أى إننا نغنى" والبعض يعربها مفعول مقدا ويقدر أى شىء يغنى عنه جار ومجرور متعلقان بيغنى وجملة تردى فى محل جر بإضافة الظرف إليها ^(١) .	وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى
إن حرف توكيد ونصب علينا جار ومجرور فى محل رفع خبر إن مقدر، واللام للتأكيد والهدى اسم إن مؤخر منصوب بفتحة مقدرة.	إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى
الواو عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ما سبق ومماثلة لها فى الإعراب.	وَأَنْ لَّنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَى

الفاء عاطفة أنذرتكم فعل وفاعل ومفعول نارا مفعول به ثان منصوب، تلظى فعل مضارع والأصل تلظى والفاعل مستتر تقديره هي والجملة في محل نصب نعت.	فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى
لا نافية، يصلها فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة، الهاء ضمير في محل نصب مفعول به إلا أداة استثناء للحصر والأشقى فاعل مرفوع بالضمة المقدرة.	لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى
الذى اسم موصول في محل رفع نعت للأشقى وجملة كذب صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وتولى عطف على كذب.	الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى
الواو عاطفة، السين حرف يدل على الاستقبال، يجنبها فعل مضارع والهاء ضمير في محل نصب مفعول به مقدم، الاتقى فاعل مؤخر الذى اسم موصول في محل رفع نعت للاتقى، يوتى مضارع مرفوع بالضمة المقدرة والفاعل ضمير مستتر والجملة إما إنها بدل من يوتى فتكون لا محل لها من الإعراب لأنها داخلة في حيز الصلة وإما في محل نصب حال من فاعل يوتى أى متزكيا.	وَسُجَّيْهَا أَاتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى
الواو حرف عطف، ما نافية، لأحد جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، عنده ظرف متعلق بمحذوف حال، من حرف جر زائد، نعمة اسم مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ وتجزى جملة فعلية في محل جر نعت للنعمة.	وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُحْزَى
إلا أداة استثناء بمعنى ولكن ابتغاء مستثنى من غير الجنس لأنه منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من غير جنس النعمة أى ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، والأحسن إعراب ابتغاء مفعول لأجله منصوب لأن المعنى لا يوتى ماله إلا لا ابتغاء وجه ربه.	إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى

وَلَسَوْفَ يَرْضَى	الواو عاطفة ، اللام جواب قسم مضمّر أى والله لسوف يرضى ، سوف حرف تسويف ، يرضى فعل مضارع مرفوع بالضمّة المقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه.
--------------------	---

من ألوان البلاغة

- لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من صور البيان والبديع نذكر منها:
- الطباق بين "الأشقى والأتقى" وبين "اليسرى والعسرى"
- المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ يَحْلِلْ وَأَسْتَفْتَى ﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ .
- جناس الاشتقاق فى قوله تعالى ﴿ فَسَيُيَرُّهُ لِّئَلَّا يُسْرَى ﴾ لأن اليسر من التيسير فيها جناس اشتقاق.
- حذف المفعول للتعميم ليذهب مذهب السامع كل مذهب فى قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ .
- السجع البرصين غير المتكلف فى قوله تعالى ﴿ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْإِشْقَى ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْإِتْقَى ﴾ .

